من نوادر وطرائف العرب

3

اللِّصُّ الظَّرِيفُ

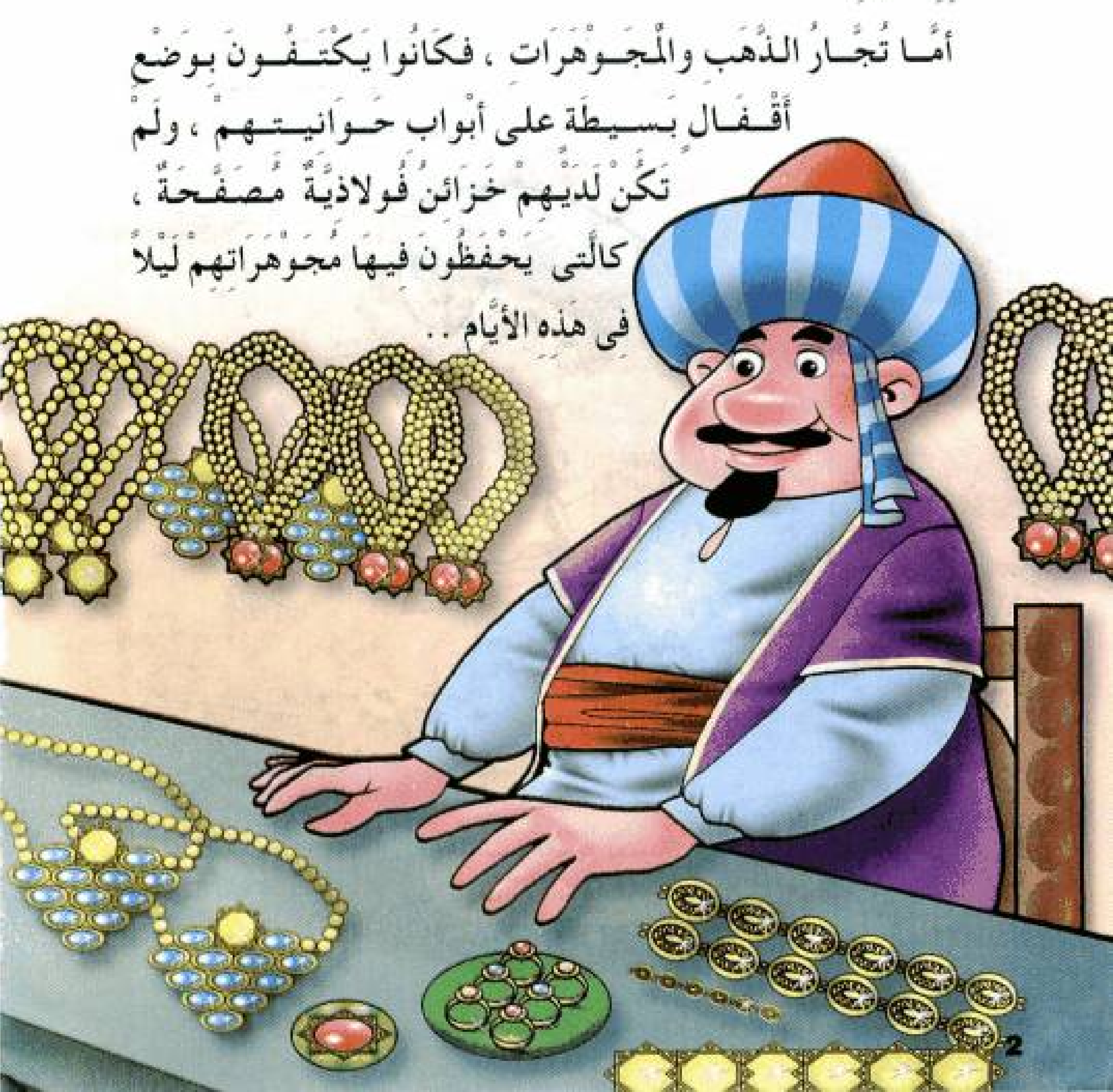
بقلم : ا. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى



فيمَا مَضَى من زمَان ، وكَانت الحَياةُ أكْثر بسَاطَةً وأمْنا .. وكَانَ اللُّصُوص أقلَّ ذكاءً ودهاءً من لُصُوصِ هذه الأيَّام ..

كَانَ التُّجَّارُ يَكْتفُون بإغْلاق أبْوَاب حَوَانيتهِمْ عَلى بِضَاعَتِهِمْ ، دُونَ حَاجَةٍ إلى أبْوَاب مُصفَّحَةٍ ، وأقْفَال مُعقَّدة ، كالَّتِي نَرَاهَا فِي هَذه الأيَّام ..

أمَّـا تُجَّـارُ الذَّهَبِ والمُجَـوْهَرَات ، فكَانُوا يَكْتَـفُـون بِوَضْعِ أقْـفَـال بَسِيطَةٍ على أبْوَاب حَـوَانيـتِـهِـم ، ولَمْ تكُن لَدَيْهِم خَزَائن فُولاذِيَّةٌ مُصفَّحَةٌ ، كالَّتِي يَحْفَظُون فِيها مُجوْهراتِهِم لَيْلاً فِي هَذه الأيَّام ..



وهذه القِصَّةُ مُبَارَاةٌ فِي الذَّكَاءِ بَيْنَ التَّاجِرِ بَهَاء واللِّصِّ عَدْمَان ، فَمَنْ يَحْسِمُ المُبَارَاةَ لِصَالِحِه ؟ وَلِمَنْ تَكُونُ الجَوْلَةُ الأَخِيرَةُ ؟!

كَانَ بَهَاءٌ تَاجِرَ مُجَوْهَرَاتٍ ، يَمْتَلِكُ حَانُوتًا عَامِرًا بِالذَّهَبِ والأَحْجَارِ الكَرِيمَةِ ، فِي إِحْدَى المُدُنِ العَرَبِيَّةِ القَدِيمَةِ . .

وكَانَ عَدْمَانُ لِصًّا بَائِسًا ، قَضَى حَيَاتَهُ جَائِلًا . . وكَانَتْ أَكْبَرُ سَرِقَةٍ قَامَ بِهَا هِيَ سَرِقَةُ بِضْعِ دَجَاجَاتٍ ، أَوْ بِضْعِ أَوَانٍ نُحَاسِيَّةٍ ،



أَوْ بِضْعِ قِطَعِ مَلابِسَ مَنْشُورَةٍ على حَبْلِ غَسِيلٍ لَيْلاً ..

وتَبْدَأُ أَحْداثُ هذه القِصَّةِ هَكَذَا :

ذاتَ مَساءٍ ـ وقَبْلَ الغُرُوبِ بِقَليلٍ ـ كانَ اللِّصُّ عَدْمانُ يَقُومُ بِجَوْلَةٍ ، يَتَفَقَّدُ خِلالَها حَوانِيتَ المَدِينَةِ ، لِيَرَى مَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْهِ لَيْلاً ، بَعْدَ أنْ قَرَّرَ التَّوَسُّعَ فِى نَشاطِهِ ، لِيَصِيرَ لِصًّا خَطِيرًا ..

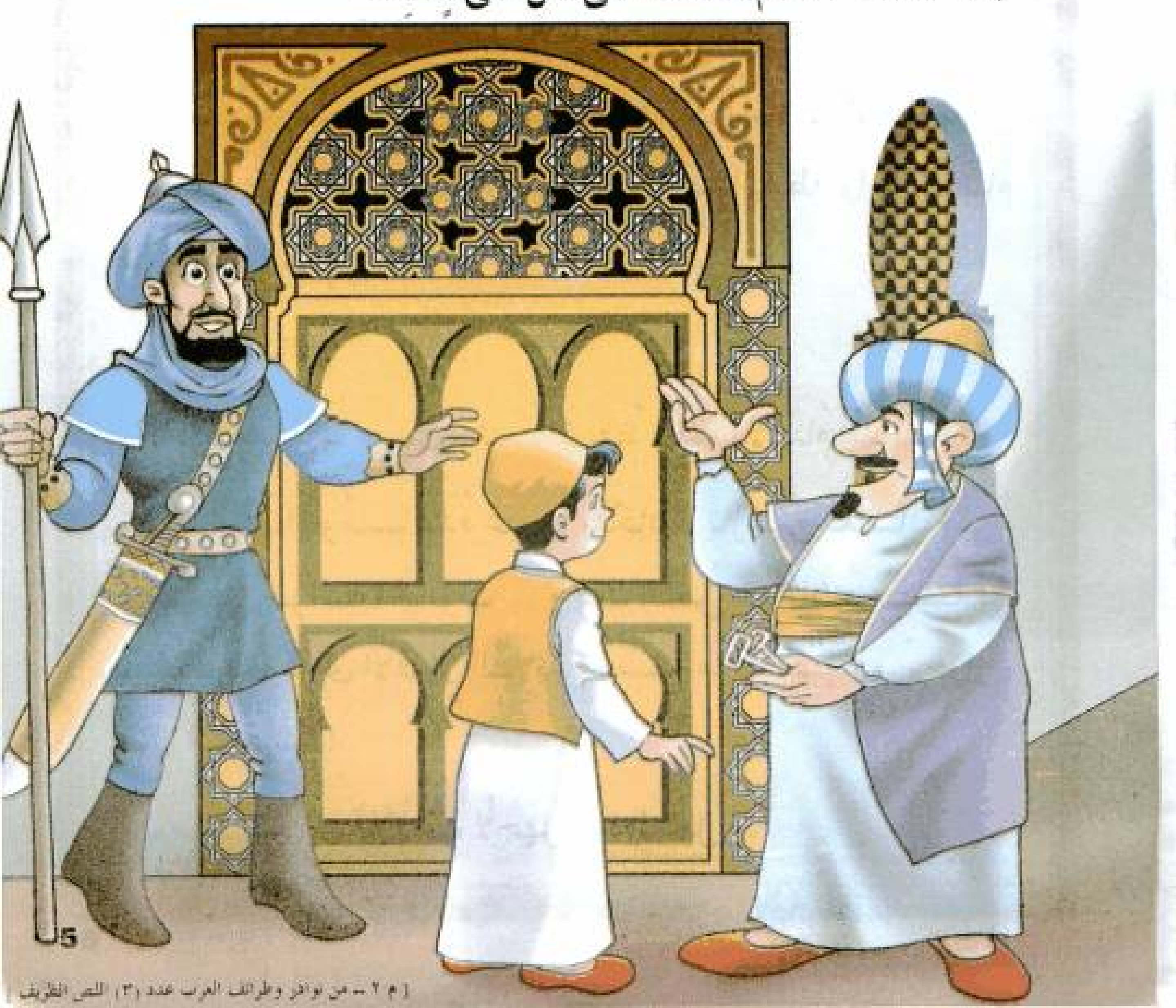
وخِلالَ هذه الجَوْلَةِ ، اقْتَرَبَ عَدْمانُ مِنْ حَانُوتِ التَّاجِرِ بَهاءٍ ، وَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنَ الخَارِجِ ، فَرَأَى التَّاجِرَ بَهاءً وهُوَ يَقُومُ مَعَ مُسَاعِدِهِ غَنْدُورٍ بِجَمْعِ قِطَعِ الذَّهَبِ والمُجَوْهَراتِ مِنْ فَوْقِ الرُّفُوفِ وإِحْصائِها فى دَفَاتِرَ ثُمَّ وَضْعِها فى صَنَادِيقَ ، اسْتِعْدادًا لإِغْلاقِ الحَانُوتِ ، فانْبَهَرَ عَدْمانُ انْبِهارًا شَدِيدًا ، بِمَا رَأَى وقَالَ فِى نَفْسِهِ :

ـ هذه هى البِضَاعَةُ الثَّمِينَةُ ، الَّتِى يَجِبُ أَنْ تَكُونَ جَدِيرَةً بِاهْتِمامِكَ يا عَدْمانُ .. سَرِقَةٌ بِالجُمْلَةِ تُغْنِيكَ بَقِيَّةَ عُمْرِكَ ، خَيْرٌ مِنْ سَرِقَةِ القَطَّاعِى ، الَّتِى لا تُسْمِنُ أَوْ تُشْبِعُ مِنْ جُوعٍ ..وسُرْعَانَ مَا انْتَهَى بَهَاءٌ مِنْ إِحْصَاءِ نُقُودِهِ ومُجَوْهَراتِهِ ، وَوَضْعِهَا فى الصَّنَادِيقِ ، فَقَالَ لِمُساعِدِهِ غَنْدُورٍ :

- أَسْرِعْ بإِحْضَارِ الأَقْفَالِ ، وهَيَّا بِنَا لِنُغْلِقَ الحَانُوتَ قَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ اللَّيْلُ فَيُهَاجِمُنَا اللُّصُوصُ يا غَنْدُورُ ..

أَسْرَعَ غَنْدُورٌ بإِحْضَارِ ثَلاثَةِ أَقْفَالٍ ، وأَغْلَقَ الأَبْوَابَ .. ثُمَّ وَضَعَ عَلَيْهَا الأَقْفَالَ ، واطْمَأَنَّ التَّاجِرُ بهاءٌ بِنَفْسِه على سَلامَةِ الأَقْفَالِ .. ثُمَّ نَادَى الحَارِسَ اللَّيْلِيَّ نَعْسَانَ وسَلَّمَهُ الحَانُوتَ قَائِلاً :

- تَسَلَّمِ الحَانُوتَ وتَمَّمْ عَلَى الأَقْفَالِ والأَبْوَابِ بِنَفْسِكَ يَا نَعْسَانُ .. فَتَمَّمَ نَعْسَانُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَائِلاً :



ـ ارحَلا فِي رِعايَةِ اللَّهِ ، ونَعْسانُ سيَقُومُ بِعَمَلِهِ كَحارِسٍ لَيْلِيٍّ يَقِظٍ ، يَسْمَعُ دَبَّةَ النَّمْلَةِ ..

فقَالَ بَهَاءٌ مُتهكِّمًا :

ـ يَقِظٌ ، أَمْ أَنَّكَ ستَغُطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ بمُجَرَّدِ مُغادرتِنا ؟!

فَضَرَبَ نعْسَانُ الأَرْضَ بقَدَمَيْهِ فِي قُوَّةٍ وقَالَ :

ـ بَلْ يَقِظٌ ونَشِطٌ جِدًا يا سيِّدُ بَهَاء ..

فغَمَزَ بَهَاءٌ لِمُساعِدِهِ غَنْدُورٍ وقَالَ :

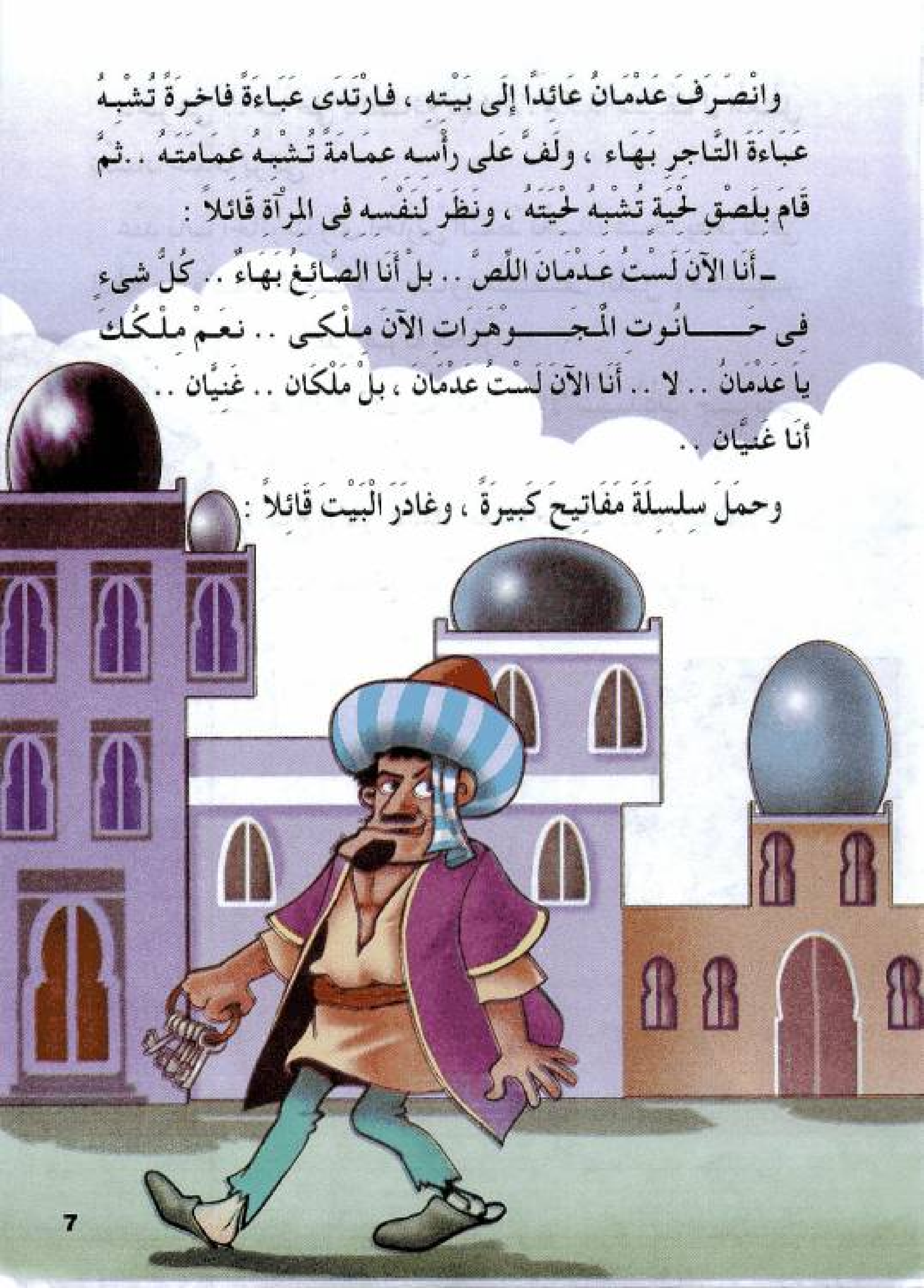
ـ عُمُومًا سَوْفَ نَرَى .. قَدْ أَمُرُّ عَلَيْكَ لَيْلاً ، لإِنْجازِ بَعْضِ الأَعْمالِ ، وسَاعَتَها سَأَتأكَّدُ إِنْ كُنْتَ حقًا يَقِظًا ، أَمْ أَنَّكَ تَنامُ طَوالَ اللَّيْلِ ..

فقَالَ نعْسانُ :

ـ كُنْ مطْمَئِنًا يا سيِّدِي ، فَنَعْسانُ يَقِظٌ دائِمًا ولا يَنامُ أَبَدًا ..

وغَادَرَ بَهَاءٌ ومُسَاعِدُهُ غَنْدُورٌ المَكَانَ ، تَارِكَيْنِ نَعْسَانَ يَقُومُ بِعَمَلِهِ فِي حِراسَةِ الحَانُوتِ .. وكَانَ اللِّصُّ عَدْمَانُ مُخْتَبِئًا فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ فرأى الأَقْفالَ الثَّلاثَةَ ، وسَمِعَ ما دارَ بينَهُمْ مِنْ حِوارٍ ، فقَالَ فِي نَفْسِهِ :

ـ صَيْدٌ ثَمِينٌ .. فَلأَذْهَبْ لأُجَهِّزَ عُدَّةَ الشُّغْلِ ..



وانْصَرَفَ عدْمَانُ عائدًا إلى بيْتِهِ ، فارْتدى عباءةً فاخرةً تُشْبِهُ عَبَاءَةَ التَّاجِرِ بَهَاء ، ولَفَّ على رأْسه عمامةً تُشْبِهُ عمامَتَهُ ..ثمَّ قَامَ بِلصْقِ لِحْيةٍ تُشْبِهُ لحيتَهُ ، ونَظَرَ لنفْسه في المرْآةِ قائلاً :

ـ أنَا الآنَ لسْتُ عدْمَانَ اللِّصَّ .. بلْ أنا الصَّائغُ بَهَاءٌ .. كُلُّ شيءٍ في حَانُوتِ الْمُجَوْهَرَاتِ الآنَ ملْكِي .. نعَمْ ملْكُكَ يا عَدْمَانُ .. لا .. أنَا الآنَ لسْتُ عدْمَانَ ، بلْ ملْكَانَ .. غنيَّانَ .. أنا غنيَّانُ ..

وحمَلَ سِلْسِلَةَ مفَاتِيحَ كَبيرةً ، وغادَرَ الْبَيْتَ قَائِلاً :

ـ مَرْحَى .. مَرْحَى بالصَّائِغ بَهَاء .. هكذَا سَيَقُولُ المُغَفَّلُ نعْسَانُ عِنْدَمَا يرانِى ..

عِنْدَ بابِ الحَانُوت رَأَى الحَارِسُ اليَقظُ نعْسَانُ شبحًا يَتحرَّكُ فى الظَّلامِ ، وكَانَ الوَقْتُ قَدْ جَاوَزَ مُنْتَصَفَ اللَّيلِ ، فَشَهَرَ حَرْبَته ، وصَاحَ بأعْلَى صَوْتِه مُحَذِّرًا :

ـ مَنْ هُنَاكَ ؟ قِفْ مَكَانَكَ ، وإلاَّ سَدَّدْتُ حَرْبَتِى فِى صَدْرِكَ وقَتَلْتُك ..

فصَاحَ اللِّصُّ عَدْمانُ مُقَلِّدًا صَوْتَ التَّاجِرِ بَهَاء :

ـ أنَا الصَّائِغُ بَهَاءٌ يا نَعْسَانُ .. ألا تَعْرِفُنِى ؟!



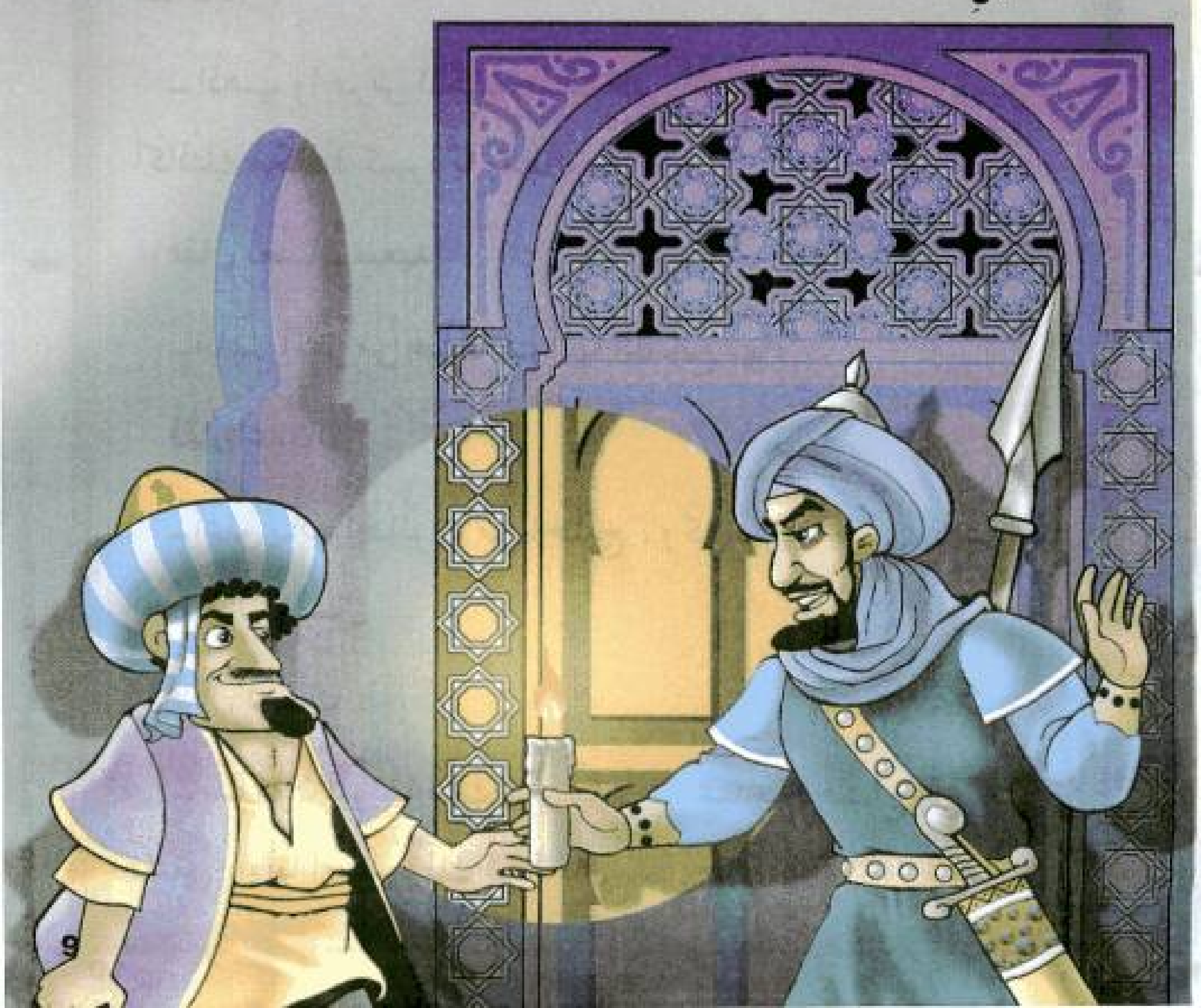
فصاحَ نعْسَانُ مُتَهَلِّلاً وفَخُوراً بِنَفْسِه :

ـ أرَأَيْتَ يا سَيِّدى أَنَّنى يَقْظَانُ ، ولَسْتُ نَعْسَان ، كمَا تَظُنُّونَ ؟!

فقالَ عَدْمَانُ :

ـ نَعَمْ أَنْتَ يَقْظَانُ .. لَقَدْ تأكَّدْتُ من ذَلِكَ بِنَفْسِي .. خُذْ هذِهِ الشَّمْعَةَ وأَشْعِلْهَا مِنَ النَّارِ الْمُوقَدَةِ خَلْفَ الْحَانُوتِ وأَحْضِرْهَا ..

ـ هلْ يَنْوِى سَيِّدِى فَتْحَ الْحَانُوتِ ، فِى هذَا الْوَقْتِ الْمُتَأَخِّرِ مِنَ اللَّيْلِ ؟!



ـ نَعَمْ يا يَقْظَانُ .. لا بُدَّ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحِسَابِ ، وجَرْدِ الْبِضَاعَةِ كُلِّهَا ، لأنِّى عَقَدْتُ صفْقَةً كَبِيرَةً ، ويجِبُ أنْ أُسَلِّمَهَا فِى الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ..

وفِى الْوَقْتِ الَّذِى انْشَغَلَ فِيهِ نَعْسَانُ بإشْعَالِ الشَّمْعَةِ ، كَانَ عَدْمَانُ قَدْ تمكَّنَ مِنْ فَتْحِ أَحَدِ الأَقْفَالِ الثَّلاثَةِ ، وفَتَحَ أَحَدَ أَبْوَابِ المحَلِّ ودَخَلَ ، فجاءَ نَعْسَانُ بالشَّمْعَةِ وقَدَّمَهَا لهُ فأَخَذَهَا عَدْمَانُ مِنْهُ قَائِلاً :

ـ اذْهَبْ واحْرُسِ الْمَكَانَ جَيِّداً حَتَّى أَنْتَهِىَ مِنْ عَمَلِى ، وسَوْفَ أُكَافِئُكَ مُكَافَأَةً كَبِيرَةً يا يَقْظَانُ ..

فقالَ نعْسَانُ سَعِيداً :

ـ اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مِنْ صَفَقَاتِكَ أَيُّهَا الصَّائِغُ بَهَاءٌ ..

فقَالَ عدْمَانُ :

ـ أَغْلِقْ بَابَ الحَانُوتِ مِنَ الخَارِجِ ، وكُنْ قَرِيباً مِنِّى ، لأَنَّنِى قَدْ أَحْتَاجُ إِلَى حمَّالٍ ..

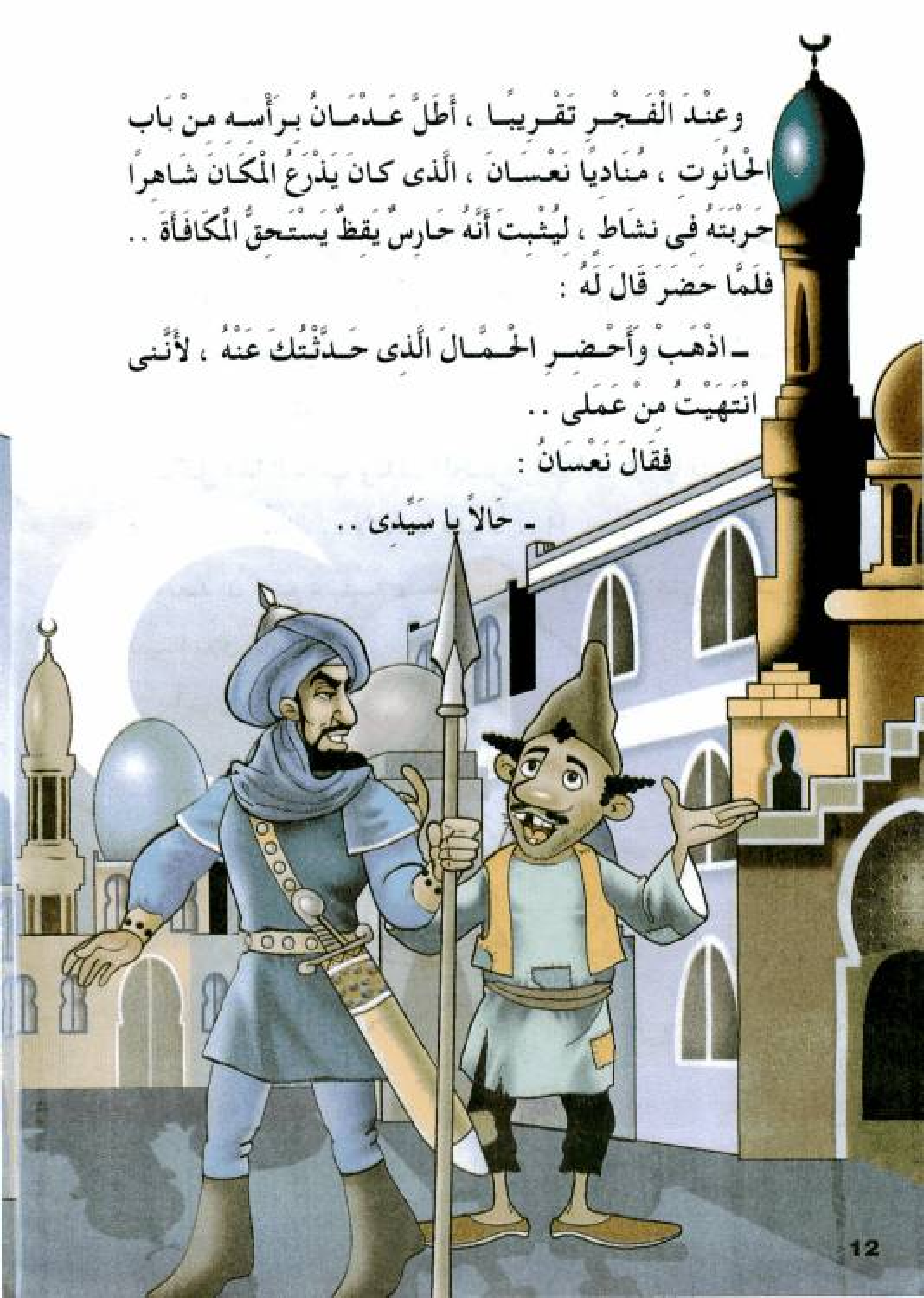
فقَالَ نعْسَانُ :

ـ سَأَكُونُ قَرِيباً مِنْكَ يا سَيِّدِى .. عِنْدَمَا تَحْتَاجُ إِلى شَىْءٍ نَادِنِى ، وأَنَا أُحْضِرُهُ لَكَ فِى الحَالِ ..

وغادر نعسانُ الحانوتَ ، وأغلقَ بابَهُ على عدمانَ .. أمَّا عدمانُ فقدْ شرعَ على الفورِ في العملِ ، حتَّى لا يُضيعَ الوقتَ .. بدأ في فتحِ الصَّناديقِ الَّتي تحوي النُّقودَ وتحوي الذَّهبَ والمجوهراتِ ، فرأى ثروةً ضخمةً ، لم يرها أو حتَّى يحلمْ بها من قبلُ ، وأخذَ يتفحَّصُ محتوياتِ الصَّناديقِ ، وهُوَ يكادُ يُجنُّ من الفرحةِ ، ويُحدِّثُ نفسهُ قائلاً :

- كُلُّ هذا الذَّهبِ وتلكَ المجوهراتِ لكَ ؟! يا لها من ثروةٍ ضخمةٍ يا عدمانُ .. لا .. يا غنيانُ .. !!

وبعدَ أنْ متَّعَ عينيهِ ، واطمأنَّ على كُلِّ شيءٍ بدأ يُعيدُ إغلاقَ الصَّناديقِ مرَّةً أخرى ..



وعنْدَ الْفَجْرِ تقْرِيبًا ، أطَلَّ عدْمَانُ برأْسِه من بَاب الْحَانُوت ، مُنَادِيًا نعْسَانَ ، الَّذى كان يَذْرَعُ الْمَكَانَ شَاهِرًا حَرْبَتَه في نشَاطٍ ، ليُثْبِتَ أنَّهُ حَارِسٌ يَقِظٌ يسْتَحِقُّ الْمُكَافَأة ..
فلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ :

ـ اذْهَبْ وأَحْضِرِ الْحَمَّالَ الَّذِى حَدَّثْتُكَ عَنْهُ ، لأَنَّنى انْتَهَيْتُ مِنْ عَمَلى ..

فَقَالَ نعْسَانُ :

ـ حَالاً يا سَيِّدِى ..



وأسرع نعسانُ إلى منزل أحد الحمَّالين القريب من الحانوت ، فأيقظه من نومه ، وتعجب الحمال من هذا الذى يوقظه فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، فأخبره نعسان بأن الذى يريده هو الصائغ بهاء ، لحمل بعض الصناديق ، وسوف يجزل له العطاء ، ففرح الحمال بهذا الرزق الذى ساقه الله وهو نائم ، وأسرع معه ..

ووصل الحمال ونعسان إلى الحانوت ، فأمره الصائغ أن يحمل ثلاثة صناديق مليئة بالنقود وبالذهب والمجوهرات إلى مرسى المراكب عند النهر ، ووعده بأجر كبير ، فلما حملها الحمال فوق كتفه ،

وَخَرَجَ ، أَغْلَقَ عدمَانُ بَابَ الحَانُوتِ ووضع عليه القُفْلَ ، كما كَانَ .. ثُمَّ أعطى نعسَانَ عشرَةَ دَنَانِير ذَهَبِيةٍ قائلاً :

ـ خُذْ هَذِهِ الدَّنَانِيرَ العَشْرَةَ ، مُكَافَأَةً لك عَلَى يَقَظَتِكَ وعَمَلكَ الإضَافِيِّ .. اسْتَمِرَّ فِي يَقَظَتِكَ وسَهَرِكَ لِحِمَايَةِ الحَانُوتِ مِنَ اللُّصُوصِ ..

فأَحْصَى نَعْسَانُ النُّقُودَ فِي يَدِهِ ، غَيْرَ مُصَدِّقٍ ، وقَالَ :

ـ عَشْرَةُ دَنَانِيرَ مِنْ أَجْلِ إشْعَالِ شَمْعَةٍ ، واسْتِدْعَاءِ حَمَّالٍ ؟ إِنَّهَا أَكْثَرُ مِنْ رَاتِبِي فِي عَامٍ كَامِلٍ ..

فقَالَ عَدْمَانُ :

ـ أَنْتَ طَيِّبٌ وتَسْتَحِقُّ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا يَا يَقْظَانُ ..

فقَالَ نَعْسَانُ :

ـ أَرْجُو أَلاَّ تَحْرِمَنِي مِنْ أُنْسِكَ يَا سَيِّدِي .. تَعَالَ كُلَّ لَيْلَةٍ ، وسَوْفَ تَجِدُنِي حَارِسًا يَقِظًا دَائِمًا ..

قَالَ عَدْمَانُ ، وهُوَ يَسْتَعِدُّ لِلانْصِرَافِ مَعَ الحَمَّالِ :

ـ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُسَهِّلَ طَرِيقِي ، حَتَّى تَتِمَّ هَذِهِ الصَّفْقَةُ عَلَى خَيْرٍ ..

وَصَلَ عَدْمَانُ والحَمَّالُ إِلَى مَرْسَى المَرَاكِبِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، فَأَعْطَى الحَمَّالَ أَجْرَهُ مُضَاعَفًا وصَرَفَهُ ..

ثُمَّ اسْتَأْجَرَ مَرْكَبًا ، حَمَلَ فِيهِ الصَّنَادِيقَ الثَّلاثَةَ إلى جَزِيرَةٍ عِنْدَ الشَّاطِئِ الآخَرِ .. ثُمَّ نَقَلَهَا إلى كُوخٍ قَدِيمٍ ، وَجَلَسَ يَنْتَظِرُ مَا تُسْفِرُ عَنْهُ الأَحْدَاثُ ، حَتَّى يَهْرُبَ بِصَفْقَتِهِ إلى خَارِجِ الْبِلادِ ..

وفِي الصَّبَاحِ حَضَرَ الصَّائِغُ بَهَاءٌ وَمُسَاعِدُهُ غَنْدُورٌ ، وكَعَادَتِهِ أَخْرَجَ بَهَاءُ الْمَفَاتِيحَ وَفَتَحَ الأَقْفَالَ الثَّلاثَةَ ، وسَاعَدَهُ غَنْدُورُ فِي رَفْعِ الأَبْوَابِ الخَشَبِيَّةِ ، ورَكَنَهَا خَلْفَ الحَانُوتِ ، فَلَمَّا رَآهُمَا الحَارِسُ نَعْسَانُ ، تَقَدَّمَ مِنْ بَهَاءٍ قَائِلاً :



ـ أكرمَكَ اللهُ يا سيِّدى ، كما أكرمْتنِى اللَّيْلَةَ بالدَّنانيرِ الْعَشْرَةِ الَّتى أعطَيْتَنى إيَّاها . .

فَنظَرَ إلَيْهِ بَهاءٌ مُسْتَنْكِراً ، وَقَالَ :

ـ ما هذَا الْهُرَاءُ الَّذِى تَقُولُهُ يا نعْسَانُ ؟! أنا أَعْطَيْتُكَ عَشْرَةَ دَنَانير ؟!

فَقَالَ نعْسَانُ بِكُلِّ طِيبَةٍ :

ـ نَعَمْ يا سيِّدِى . . ها هِيَ ذِى الدَّنانيرُ لَمْ تَزَلْ مَعِي . .

وأَرَاهُ إيَّاها ، فَنظَرَ بَهاءُ إلى الدَّنانِيرِ الذَّهَبِيَّةِ ، غَيْرَ مُصَدِّقٍ وَقَالَ :

ولِمَاذَا أُعْطِيكَ عَشْرَةَ دَنَانِير ؟!

ـ مُكَافَأَةً لِي عَلَى يقظَتِي ، والْعَمَلِ الإضافِيِّ يا سيِّدِى . .

ـ أيُّ عَمَلٍ إضَافِيٍّ هذَا الَّذِى تَقُومُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ وتَتَقَاضَى عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ رَاتِبِ عَامٍ ؟!

ـ الشَّمْعَةُ الَّتى أشْعَلْتُهَا لَكَ ، والحَمَّالُ الَّذِى اسْتَدْعَيْتُهُ . .

ـ أَنَا طَلَبْتُ مِنْكَ أَنْ تُحْضِرَ حَمَّالاً لَيْلاً ؟!

ـ نَعَمْ ، لِيَحْمِلَ الصَّنَادِيقَ مِنْ دَاخِلِ الْمَحَلِّ . .

فَصَاحَ بَهَاءٌ مَذْهُولاً :

ـ هَلْ حَمَلْتُمْ صَنَادِيقَ مِنْ دَاخِلِ الْحَانُوتِ ؟!

ـ أَنْتَ الَّذِى حَمَلْتَهَا يَا سَيِّدِى وَسِرْتَ بِهَا مَعَ الْحَمَّالِ ..

هَلْ نَسِيتَ الصَّفْقَةَ الَّتِى كَانَ عَلَيْكَ تَسْلِيمُهَا فِى الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ؟!



وشَعَرَ الصَّائِغُ بَهَاءٌ بِالدُّوَارِ ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُ كَادَ يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ ، لَكِنَّهُ تَمَالَكَ نَفْسَهُ قَائِلاً :

ـ إِمَّا أَنَّكَ مَجْنُونٌ وَلا تَدْرِى مَا تَقُولُ ، أَو أَنَّكَ لِصٌ مُتَوَاطِئٌ مَعَ لُصُوصٍ عَلَى سَرِقَةِ نُقُودِى وَمُجَوْهَرَاتِى ؟!

فَأَسْرَعَ غَنْدُورٌ إِلَى دَاخِلِ الحَانُوتِ وَعَادَ يَصْرُخُ قَائِلاً :

ـ لا يَا سَيِّدِى .. إِنَّهُ لَيْسَ مَجْنُونًا ..

فَصَرَخَ بَهَاءٌ قَائِلاً :

ـ إِذَنْ فَقَدْ سُرِقَ حَانُوتِى .. وَا لَهْوَاهُ .. وَا مُصِيبَتَاهُ .. وَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ ، فَصَاحَ نَعْسَانُ لاطِمًا خَدَّيْهِ مِنَ الفَزَعِ :

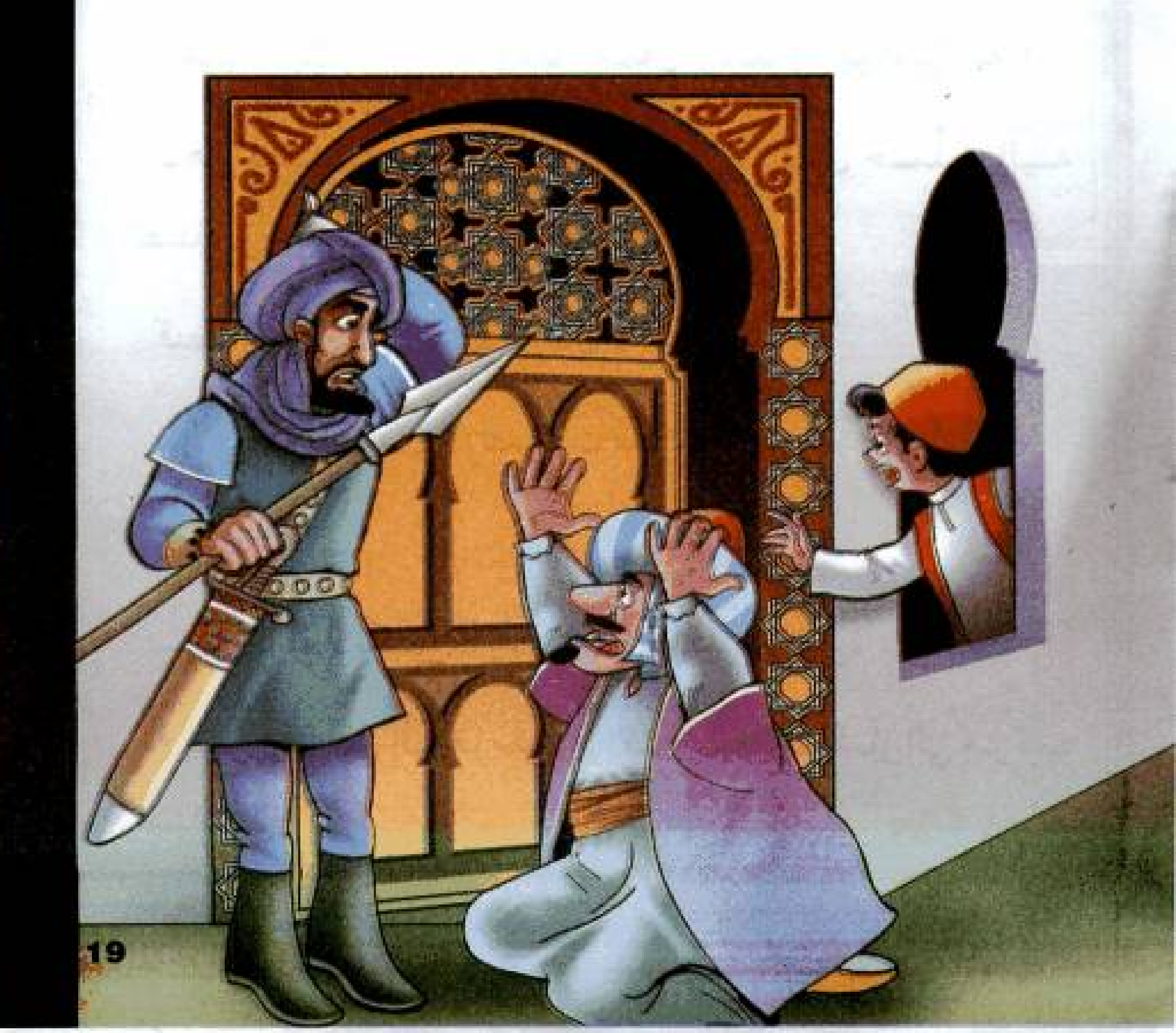
ـ وَا فَتْحَةَ وَاه .. ضَاعَ مُسْتَقْبَلُكَ كَحَارِسٍ يَقِظٍ يَا نَعْسَانُ ..

بَعْدَ أَنْ أَفَاقَ الصَّائِغُ بَهَاءٌ مِنْ صَدْمَتِه ، فَحَصَ أَبْوَابَ الحَانُوتِ وَالجُدْرَانَ وَالسَّقْفَ ، فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَى كَسْرٍ أَوْ نَقْبٍ ، فَعَلِمَ أَنَّ الَّذِى قَامَ بِعَمَلِيَّةِ السَّرِقَةِ لِصٌ مُحَنَّكٌ ، حَيْثُ فَتَحَ القُفْلَ بِحِرْصٍ وَلَمْ يَتْرُكْ أَثَرًا ..

وَعِنْدَمَا سَأَلَ عَنْ أَوْصَافِ اللِّصِّ ، أَخْبَرَهُ الحَارِسُ : بِأَنَّهُ كَانَ

يُشْبِهُهُ تمامًا فِي كُلِّ شيْءٍ ، فَعَرفَ بهاءٌ أنَّ اللِّصَّ الّذى قَامَ بِعمليَّةِ السَّرقَةِ قَدْ أَتْقنَ التَّنكُّرَ فِي شَخْصِيَّته ، لِدَرَجَةِ أنَّ الْحَارِسَ الغَافِلَ لَمْ يتعرَّفْهُ . .

وجلَسَ الصَّائِغُ بَهَاءٌ يُفكِّرُ فِي حِيلَةٍ لِلْخُرُوجِ مِنْ هذَا الْمَأزِقِ واسْتِعَادَةِ المَسْرُوقَاتِ ، قَبْلَ أنْ يَتَصَرَّفَ



فيهَا اللِّصُّ ، أوْ يُغادِرَ بهَا الْمَدِينَةَ ، فَيَصْعُبَ اسْتِرْجَاعُهَا ..

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ مِنَ التَّفْكِيرِ قالَ لِنَعْسَانَ :

- هلْ تستَطِيعُ إحْضَارَ الحَمَّالِ ، الَّذِى اسْتَدْعَيْتَهُ اللَّيْلَةَ لِحَمْلِ الصَّنادِيقِ ؟!

فقالَ نَعْسَانُ :

- نَعَمْ يا سَيِّدى ..

وَغَابَ قَلِيلاً .. ثُمَّ عادَ وَمَعَهُ الحَمَّالُ ، فَلَمَّا رَآهُ بَهاءٌ قَالَ لَهُ :

- هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تَدُلَّنِى عَلَى الْمَرْسَى ، الَّذِى حَمَلْتَ إلَيْهِ الصَّنادِيقَ مَعِى لَيْلاً ؟!

فَنظَرَ إلَيْهِ الحَمَّالُ بِدَهْشَةٍ وقَالَ :

- ألا تَعْرِفُهُ يا سَيِّدى ؟! لَقَدْ كُنْتَ مَعِي ..

فقَالَ بَهَاءٌ :

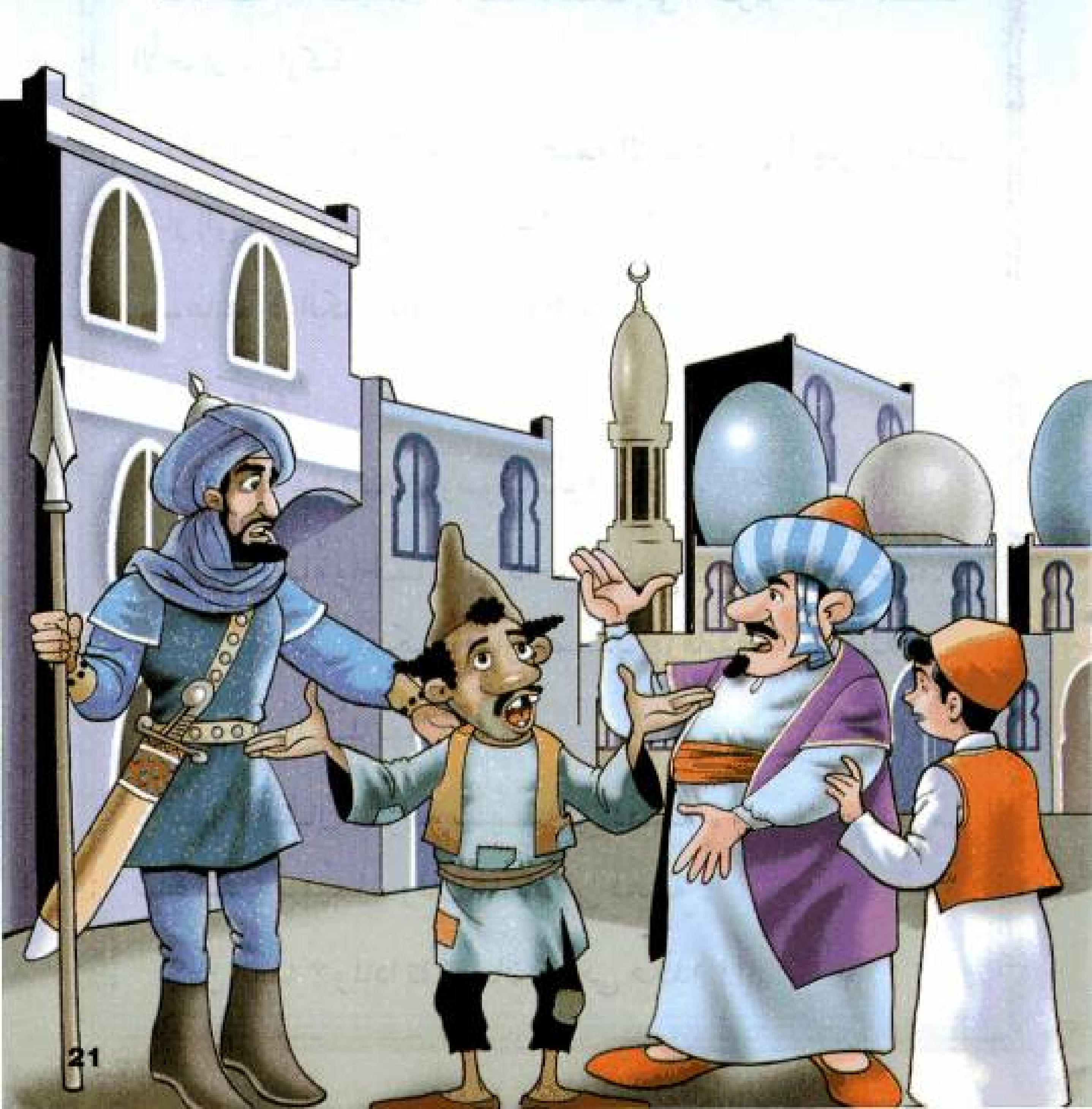
- بَلْ أعْرِفُهُ ، لَكِنَّنِى أُرِيدُ فَقَطْ أَنْ أتأكَّدَ مِنْ شَيْءٍ ..

فَقَادَهُ الحَمَّالُ إلَى مَرْسَى الْمَرَاكِبِ ، وهُنَاكَ أشَارَ إلَى مَرْكَبٍ رَاسِيَةٍ وقَالَ :

ـ هَا هُوَ ذَا المِينَاءُ يَا سَيِّدِى .. وهَا هِيَ ذِى المَرْكَبُ الَّتِى حَمَلَتْكَ مع صَنَادِيقِكَ ..

فَتَوَجَّهَ بهاءٌ إلَى صَاحِبِ المَرْكَبِ قائِلاً :

ـ أُرِيدُ مِنْكَ أنْ تُقِلَّنِي أنَا وهَذَا الحَمَّالَ إلى المَكَانِ الَّذِى



نقلْتَنِي إليْـــهِ مَعَ صَنَاديقِي في الصَّـــبَـــاحِ الْبَـــاكِــرِ .. هلْ تذْكرهُ ؟!

فقَالَ المرَاكبِيُّ :

ـ بالطَّبْعِ يا سَيِّدى .. لقَدْ نَقَلْتُكَ إلَى الجْزِيرةِ عنْدَ الضِّفَّةِ الأُخْرى .. اركَبَا .

وقَادَ المْرَاكِبِيُّ مرْكَبَهُ حتَّى الضِّفَّةِ الأُخْرَى مِنَ النَّهْرِ ، وهُنَاكَ أشَارَ إلَى كُوخٍ مهجورٍ في وَسطِ الجْزيرة قائلاً :

ـ هَا هُوَ ذَا الْكُوخُ الَّذِى نَقَلْتُ إليْهِ صَنَادِيقَكَ يا سيِّدى ..

فقَالَ بهَاءٌ :

ـ انْتَظِرْنَا هُنَا قَليلاً ، وسَوفَ نَعُودُ حالاً ..

وتَوجَّهَ بهَاءٌ والحَمَّالُ إلى دَاخِلِ الْكُوخِ فوَجَدَا اللِّصَّ عَدْمَانَ نَائمًا في مَلابِسِ التَّنكُّرِ بجوارِ الصَّنَاديق ، فأيْقَظهُ بهَاءٌ قَائلاً :

ـ مَرْحَبًا بالسَّيِّد بَهَاء ..

فَنَقَلَ الحَمَّالُ نظَرَاته بينَهمَا في دَهْشَةٍ ، وهُوَ لا يُصَدِّقُ منْ شدَّةِ الشَّبَه بينَهمَا ، وقَالَ عدْمَانُ في دَهْشَةٍ :

ـ مَنْ أنْتُمَا ؟ ولِمَاذَا تَقْتَحِمَانِ كُوخِي هَكَذَا ؟!

فقَالَ بَهَاءٌ :

أَنَا الصَّائِغُ بَهَاءٌ ، وقَدْ جِئْتُ لاسْتِعَادَةِ صَنَادِيقِ أَمْوالى ومُجَوْهَرَاتى . .

وبَدَأَ فى تَحْمِيلِ الصَّنَادِيقِ عَلَى كَتِفِ الحَمَّالِ لِنَقْلِهَا إلى المَرْكَبِ فقَالَ عدْمَانُ :

ـ قَدِ اسْتَعَدْتَ أمْوَالَكَ ومُجَوْهَرَاتِكَ ، فَأَعْطِنِى المَصْرُوفَاتِ . .

فقَالَ بَهَاءٌ سَاخِرًا :



تَسْرِقُ أمْوَالى ومُجوهَرَاتِى وأدْفَعُ لَكَ الْمَصْرُوفَاتِ .. هَذَا مِنْ عَجَائِبِ الزَّمَنِ ..

وعَادَ الصَّائِغُ بَهَاءٌ بأشْيَائِه كَامِلَةً ، ولَمْ يَسْتَغْرِقْ مِنْهُ الأَمْرُ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ ، وَذَلِكَ بِفَضْلِ ذَكَائِهِ وسُرْعَةِ بَدِيهَتِه ..

(تمت)

رقم الإيداع : ١٤٠٢١ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى : ٦ ـ ٩٦٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧

